

# بطولات .. انطلاق نحو المجهول



**مشى 1400 كم فوق الجليد وأصابع قدميه كلها مبتورة!**

## **إرادة لا تلين: قصة اكتشاف القطب المتجمد الشمالي**

من كان ذلك الإنسان الأول الذي اكتحلت عيناه (وربما دمعنا أيضا من شدة الفرح والبرد) لمرأى القطب المتجمد الشمالي لأول مرة في التاريخ؟ كيف حدث ذلك ومتى؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه في هذا السطور. لقد حاول الناس على مدى قرون عديدة الوصول إلى تلك المنطقة الباردة من الكرة الأرضية، ولم يعرف التاريخ مغامرة أكثر جرأة من تلك المحاولات التي غالبا ما كان أصحابها يدفعون حياتهم ثمنا لها. وتفاصيل تقدمهم نحو الشمال تحكي مآثر بطولية وتزخر أيضا بالمآسي.

منذ مئات وربما آلاف السنين اعتقد سكان المناطق المجاورة للبحر الأبيض المتوسط بأن العالم شبيه بقرص أملس ومحاط بنهر عظيم كانوا يسمونه أوقيانوس.

لم يعرفوا الكثير عن المناطق البعيدة عنهم لكنهم استعذبوا الأحلام والتفكير بتلك الأماكن البعيدة كتلك التي تقبع ما وراء جبال الألب والبلقان. فمن تلك المناطق تم استخراج القصدير لصنع البرونز وكذلك الكهرمان لصناعة قطع الحلي والزينة. لكن لم تتوفر معلومات موثوقة عن الشمال فتطوع الشعراء لحبك حكايات مشوقة من نسج الخيال لما يكمن وراء الجبال. وهذا شاعرنا الأسطوري الخالد هوميروس يخبرنا عن شعب السيميريان في الشمال الذي يكتفه الضباب وعن العمالقة الذين يسكنون هناك حيث النهار قصير لدرجة أن راعي الأغنام أثناء عودته عند المساء كان يلتقي براع آخر ذاهب للرعى عند الصباح. وهناك حكايا أخرى توحى بأن الناس عرفوا شيئا ما عن القطب الشمالي لكن معظم أفكارهم عن القطب كانت غير دقيقة بل مغلوطة في أكثر الأحيان.

مع الأيام حاول الناس الوصول إلى القطب، وفي سنة ٥٠٠ قبل الميلاد قام رجل يدعى همليكو من قرطاجة برحلة كبرى إلى الشمال فوصل إلى إيرلندا ودون أحداث

رحلته. تلك كانت القصة الأولى الحقيقية التي يمكن الأخذ بها. ثم توالى المحاولات وأبحر الإسكندنافيون في البحار الجليدية واكتشفوا أيسلندا. ومن ذلك المكان راحوا يبحثون عن المزيد من اليابسة وعن الكنوز. وهناك العشرات ممن حاولوا وأخفقوا سنضرب صفحاً عن تفاصيل محاولاتهم ومنتقل إلى أول مكتشف للقطب الشمالي.

ولد روبرت أدوين بيرري في بنسلفانيا عام ١٨٥٦ ودرس الهندسة ثم التحق بالبحرية الأمريكية. وقد شعر برغبة ملحة للاكتشافات القطبية. لقد كان يدرك كل المخاطر والنكبات التي واجهت المكتشفين قبله لكنه مع ذلك عقد العزم على المضي قدماً وعرف في قرارة نفسه أنه لن يتراجع عن تصميمه. حاول مكتشفنا بيرري معرفة كل ما يمكن معرفته عن القطب الشمالي وظروفه والتفاصيل المحيطة به.

في العام ١٨٨٦ ذهب برحلة إلى شمال غرينلاند وبعد ذلك بخمس سنوات قام برحلة ثانية حيث درس طبيعة الناس واجتاز المرتفعات الجليدية وبرهن على أن لغرينلاند ساحلاً شمالياً ولذلك فهي أكبر جزيرة في العالم. بعد ذلك بسنتين عاد ثانية إلى غرينلاند. وفي عام ١٨٩٨ قام برحلة استغرقت أربع سنوات. والآن شعر بيرري بأنه على أهبة الاستعداد للانطلاق نحو المجهول. فشرع في رحلته المحفوفة بالمخاطر في عام ١٩٠٢ لكنه قصف عاندا لأسباب وظروف اضطرت له لذلك. في عام ١٩٠٥ كرر المحاولة وهذه المرة وصل خط العرض الشمالي. أخيراً في عام ١٩٠٨ انطلق على متن الباخرة روزفلت وكانت تلك رحلته الثامنة التي توجت مساعيه بالظفر. نزل مع مرافقيه من الباخرة وأخذوا زحافات تقودها الكلاب وانطلقوا نحو القطب. وبين مسافة وأخرى كان بعض مرافقيه يتخلفون عنه لينصبوا مخيماً هنا وهناك يضعون فيه مؤناً سيحتاج إليها في عودته مثلما سيحتاج إلى مساعدتهم.

واصل مسيرته بصحبة خادم زنجي وأربعة من الأسكيمو ومعهم ما يكفي من المؤن لأربعين يوماً.

ودّع بيرري الذين تركهم وراءه في المحطة الأخيرة وسار نحو القطب فوصل إليه في السادس من نيسان عام ١٩٠٩، وأخيراً وقف على قمة العالم. وقبل وصول بيرري إلى القطب أرسل الدكتور الأمريكي فردريك كوك برقية من جزر الشتلاند يعلن فيها أنه بلغ القطب الشمالي قبل سنة من ذلك. ولكن عندما دقق العلماء في مزاعم الدكتور كوك وجدوا أنها كانت كاذبة وأنه لم يصل إلى القطب الشمالي. ومع ذلك فقد اعترفوا له ببعض الاكتشافات في هذا المجال.

كان بيرري يتمتع بقوة إرادة غير عادية ، إذ دفع نفسه دفعا على السير المتواصل بالرغم من آلام حادة في قدميه نظراً لفقدانه أصابعهما في العام ١٨٩٨ حيث كان قد أتلّفها الصقيع وبُترت نتيجة لذلك. غير أن هذه الإعاقة لم تمنعه من السير (مع

رفيقه الأمين والثمين الزنجي ماثيو هنسون) لمسافة ألف وأربعمائة كيلو متر  
(مشياً على الأقدام فوق الجليد في ظروف في غاية الصعوبة!) حول الرأس  
الشمالي لغرينلاند لوضع خريطة تفصيلية لتلك المنطقة. ويا لها من بطولة خارقة!  
وما زال بييري يعتبر واحداً من أشجع الرجال وأكثرهم إصراراً على بلوغ الأهداف.  
وفي هذا المقام يقول الإمام علي (رض):

"فعلَيْكم بالجدّ والإجتهد، والتأهب والإستعداد، والتزاول في منزل الزاد."

والسلام عليكم

المصدر: موسوعات وإنترنت  
الترجمة: محمود عباس مسعود